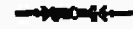


ترتيب القرآن^(*)

الأستاذ أبو طالب زيان



في العدد ٤٧٠ من « الرسالة » سؤال للأستاذ عبد الله رشيد الكاتب عن القاعدة التي رتب السور القرآنية بموجبها . أو روى في ترتيبها كبر السورة أو سبق النزول . والأديب بوجه الأدباء والمفكرين لبحث هذا الموضوع الخطير أسوة بالموضوعات الفذة التي تناولها الرسالة الفراء . ونحن مع تقديرنا لصاحب الرسالة نرجو أن يتسع المجال لمناقشة هذا الموضوع ، والاهتداء إلى نتائجه القويمة عليها تشقى علة الباحث الفطن ، وتأخذ الناشئة إلى البحث النبيل والطريق المستقيم

ولا بد لنا من لمحة يسيرة حول ترتيب الآيات قبل الخوض في ترتيب السور ليستبين للقارئ الغرض الذي يرمى إليه الباحث . فقد أجمعت الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على النهج الذي نراه اليوم في المصاحف كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى . ولا مجال للرأي والاجتهاد في هذا ، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بآيات القرآن منجمة فيوحها إلي النبي عليه السلام ويدله على موضع كل آية من سورتها ، فكان عليه السلام يبلغها للمصحابة ، وبأمر كتاب الوحي بكتابتها ويقول : « ضموا هذه الآية في المكان الذي يذكر فيه كذا وكذا . وكان جبريل يعارضه بالقرآن في رمضان من كل عام مرة ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرؤه في مدارسته له مرتب الآيات على النحو الذي نراه اليوم في المصاحف ، حتى إذا تم نزول القرآن كانت كل آية مرتبة في سورها ، وقد حفظها عنه الصحابة بترتيبها . فلما كان زمن أبي بكر وأراد جمع القرآن لم يكن عمله متناولاً لترتيب الآيات ، وإنما كان مقصوراً على جمع القرآن بين دفتي مصحف واحد خشية عليه من التفرق والضياع إذا استمر القتل في حفاظه ، ثم تمسخ المصحف من عهد عثمان إلى عهدنا هذا

(*) مراجع هذا البحث : غداية القرآن . والاتفاق . وإرشاد الساري

مرتب الآيات كما تلقاها الصحابة عن الرسول صلوات الله عليه . وقد نقل الإجماع على هذا كثير من العلماء منهم الزركشي في البرهان ، وأبو جعفر ابن الزبير في مناسباته . وروى ابن وهب عن مالك قال : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم . ويؤيد هذا الإجماع ما ورد من النصوص الدالة على أن ترتيب آياته توقيفي تفصيلاً وإجمالاً

فمن هذه النصوص ما رواه أحمد بإسناد حسن عن عثمان ابن أبي الماص قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : أمانى جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » إلى آخرها . فهذا الحديث صريح في أن جبريل علمه بموضع هذه الآية من سورتها وكذلك كان دأبه في كل آية .

ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان ابن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) نسخها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها . قال : يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه . فهذا الحديث صريح في أن إبتائها في مكانها من سورتها توقيفي ، وأن عثمان وجدها مكتوبة في المصحف المنقول مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغيرها من مكانها لأن هذا أمر لا مجال فيه للرأي . ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال : ما سألت النبي عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طمن بأصبعه في صدرى وقال : تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء . فهذا الحديث يدل على أن آيات السور كانت مرتبة معلومة الترتيب في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان معلوماً ما هو مقدم منها وما هو مؤخر ؛ ولذلك قال النبي لعمر : تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء فعين موضعها من السورة . وتلك الآية هي قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله ... الخ » ويدل على أن ترتيب الآيات توقيفي أيضاً ما ثبت في السنن الصحيحة من قراءته عليه السلام لسور هديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء ، وما ورد في البخاري من قراءته سورة الأعراف في صلاة المغرب . وروى النسائي أنه قرأ سورة قد أفلح للمؤمنون في صلاة الصبح . وقد كان عليه السلام

يقرأ هذه السور مرتبة الآيات بمشهد من الصحابة فتلقوا عنه ترتيب الآيات . وما كان الصحابة ليرتبوا القرآن ترتيباً مخالفاً لترتيب الرسول وهم أحرص الناس على اتباعه . فثبت بهذه النصوص أن ترتيب الآيات توقيفي لا مجال فيه للرأى وعلى ذلك انعقد الإجماع ، فليس لأحد أن يغير في ترتيب الآيات فيقدم بعضها على بعض فإن ذلك بدعة ضالة لا يجوز الإقدام عليها .

أما ترتيب السور وتقديم الطوال منها ، ثم نقيها بالثنين ، ثم بالثاني ، ثم بالفصل ؛ فهذا هو الذى وقع فيه الخلاف بين العلماء ؛ وأشهر مذاهبهم في ذلك ثلاثة :

القول الأول : أن ترتيبها كان باجتهاد من الصحابة . وقد مال إلى هذا الرأى الإمام مالك بن أنس ، وإمام دار الهجرة ، والقاضى أبو بكر فى أحد قوله

الثانى : أن ترتيبها كان توقيفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا الأنفال وبراءة ، فإن وضعهما فى موضعهما كان باجتهاد عثمان رضى الله عنه ووافق عليه الصحابة . ومن ذهب إلى ذلك البيهقى المحدث المشهور فى كتاب المدخل ، والسيوطى فى كتاب الإقناع

الثالث : أن اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كان بتعليم النبى عليه السلام . وقد ذهب إلى ذلك جمع كبير من العلماء منهم أبو بكر بن الأنبارى ، والكرمانى ، والطيبى ، وأبو جعفر النحاس وآخرون غيرهم ...

استدل القائلون بأن ترتيبها كان باجتهاد الصحابة بأن مصاحف السلف من الصحابة كانت مختلفة فى ترتيبها ؛ فنها ما رتب فى السور على حسب نزولها فجعل أوله سورة اقرأ ، ثم المدثر ، ثم نون ، ثم المزمل . وهكذا إلى آخر السور المسكية ، ثم السور المدنية على حسب نزولها كالمصحف الذى نسبوه إلى على رضى الله عنه . ومنها ما رتب على خلاف ذلك كمصحف ابن مسعود الذى جعل أوله البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، ومصحف ابن كعب . ولو كان ترتيب السور توقيفاً لما كان بينها اختلاف فى ذلك

وهذا الاستدلال ضعيف من وجهين : الأول . أنه قد ورد فى الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن ترتيب بعض السور كان

معلوماً فى حياة النبى . الثانى : أن زيد بن ثابت الذى أسند إليه عثمان رياسة الجمع الذين رتبوا مصاحفه ونسخوها قد شهد المرضة الأخيرة للقرآن ، وعلم ترتيب السور من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس من المعقول أن يحدث من عنده ترتيباً للسور غير ما علمه من رسول الله لأن ذلك لم يكن من عادتهم ، فلا بد أن يكون ترتيبه للسور هو عين ما سمعه من رسول الله ، ولذلك لم يرتض المحققون هذا الرأى

واستدل أصحاب المذهب الثانى على أن ترتيب السور ما عدا الأنفال وبراءة كان توقيفاً بما رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال : قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من الثانى ، وإلى براءة وهى من الثنين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتوها فى السبع الطوال ؟ فقال عثمان كان رسول الله نزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضموا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من أواخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ولم يُبين أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما فى السبع الطوال . فهذا الحديث صريح فى أنه وضع الأنفال وبراءة فى موضعهما من المصحف كان باجتهاد عثمان ، لأنه نسب وضعهما إلى نفسه ولم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما ما عداها من بقية السور فلا بد أن يكون عثمان قد اتبع فيه ما علم من الرسول صلوات الله عليه .

وقد نازعهم أصحاب المذهب الثالث فى الاستدلال بهذا الحديث . أما من جهة سند فقد قالوا إن الترمذى - وهو أحد رواة قال فيه إنه حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارصى عن ابن عباس : ٥١ : والجزء الحادى عشر من تهذيب التهذيب لابن حجر يقول : إن المحدثين اختلفوا فى زيد هذا هل هو يزيد بن هرمز المشهور بأنه ثقة أو هو غيره ؟ ثم قال والصحيح أنه غيره . وقد قال على بن المدنى : ذكرت

الأحاديث وما شاكلها تدل على أن السور المذكورة فيها كان ترتيبها مسنداً إلى الرسول ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه عليه السلام قرأ القرآن كله بمشهد من زيد بن ثابت ، وأن زيدا اختاره أبو بكر لجمع القرآن لقوة الثقة به ، وكذلك اختاره عثمان رئيساً لمن نسخوه في المصاحف ، تبين أن هذا الترتيب الذي عمله زيد هو ما علمه رسول الله ... وهذا ما يطمئن إليه القلب ، وهو ما جنح إليه جمهور العلماء ...

(للكلام بقية) أبو طالب نزيه

الله نصرته

بجدة (فكرة) العربية والاسلامية

صدر عدد شهر رجب ومن موضوعاته :
كتابة الله في الأرض — أدب القتال في الاسلام — التراث العلمي
للرب — نحو إصلاح الإصلاح ... الكلمة الحاملة في مصر — قد نصت
« نقاء المجتمع » لتوالت في ضوء العقيدة الاسلامية — القصة في الأدب
الربني — الفيتانيات في جمال المرأة للعلماء وطهارتها — كيف ننشأ
الوئمة في الأرض الخصبة — من قة الصفاء — المجلات العربية ...
وكيف تؤدي رسالتنا !

عبد الرحمن

عن الجمعيات الاسلامية

تصدر الأنصار في أول رمضان القادم — إن شاء الله — عدداً خاصاً
عن الجمعيات الاسلامية ، في مصر والأقطار العربية . والأنصار تقصد من
إصدار هذا العدد أن تيسر للقارئ الاطلاع على صورة صحيحة بقدر الامكان
من صور الجهاد المشترك في العالم العربي في سبيل النهضة الفكرية الاسلامية
أعداد القصور الماضية تفتت
المكتبات بعنوان الأنصار : ٢٤ شارع البستان — القاهرة

ليحيي بن سعيد قول ابن مهدي إن يزيد الفارسي هو ابن هرم
فلم يعرفه . وكفى بذلك دليلاً على جهالة حاله . وقال أبو حاتم فيه
لا بأس به أقول ؛ ومثل هذا الرجل الذي لم يعرف حاله لا يصح
الاعتماد على حديثه الذي انفرد به في ترتيب القرآن

وأما من جهة متنه ، فإن التمسك به يشير غبار إشكالات
نحن في غنى عنها ، لأنه يدل على أن آخر الأنفال لم يكن معلوماً
بيقين ؛ وكذلك أول براءة ، بدليل أن عثمان ظن أن براءة من
الأنفال ، ولذلك لم يضع بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم .
وهذا يفتح باباً واسعاً لشبهة فرقة جوزت الزيادة والنقصان
في القرآن ، وذلك باطل باتفاق السلف والخلف . ويعد جداً
ألا يبين الرسول آخر الأنفال وأول براءة . ويضع التمسك به
زيادة عما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارض جبريل
بالقرآن في آخر سنة من حياته مرتين ؛ فأين كان يضع هاتين
السورتين في قراءته ؟ فالتحقيق إذاً أن وضعهما في موضعهما
توقيفي وإن فات ذلك عثمان أو نسيه ؛ وإن بسم الله الرحمن الرحيم
لم تكتب في أول براءة ، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها
من بقية السور .

واستدل جمهور العلماء على أن اتساق السور كاتساق الآيات
كلها توقيفي بأنه ورد في أحاديث كثيرة أن ترتيب بعض السور
في عهد رسول الله هو عين ترتيبها في المصاحف التي نسخها زيد
بأمر عثمان ... منها ما رواه البخاري عن ابن مسعود يقول
في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من
من المتأق الأول^(١) ، وهن من ثلاثي^(٢) ؛ فذكرها نسقاً
كما أسفر ترتيبها في المصحف

وروى البخاري أنه عليه السلام كان إذا أوى إلى فراشه
جمع كفيه ثم نث فيهما ققرأ « قل هو الله أحد » والمودتين ،
فذكرها مرتبة كما هي في المصحف . وروى مسلم أنه صلى الله
عليه وسلم قال اقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران . فهذه

(١) التأق جمع عقيق وهو القديم والمعنى أنهم من قديم ما نزل

(٢) الثلاث قديم الملك بخلاف الطارف والمراد أنهم من أول ما حفظ